وأصبحت الحقوق مِنة

قصة : نكتل يوسف محسن

هي أكثر من "قصة قصيرة" وإن بدت كذلك، هي الفرح في وعاء حزين، والضحكة في وجه باكي هي بأختصار : مأساة الكِرام عندما قل الناصر وأكتست الشمس بالغمام ، فبينما كان عبد الصبور يرتب أولوياته المادية حسب الأهمية ، منتظراً أستلامه رواتبه المدخرة لثلاث سنوات مضت ، والتي أحتجزها المسؤولون الماليون بسبب الظروف الطارئة التي مرت على البلد ، فقد عانى الموظفون ما عانى خلالها من الحرمان والصبر والقهر ومكابدة الشيء الكثير من الفقر ، من جهة يصرف جهده ووقته في هذا الموضوع الذي لا يأتي موضوع يتعدى أولويته ، حيث تراكمت عليه ديون كبيرة بفعل أنقطاع راتبه مدة من الزمن ، وكان بيته الذي أفنى من عمره العقدين ليكمله قد آل به الدهر أن يكون مهدماً ويحتاج للمال لإعماره ، كما أن أضطراره لإستجار بيت ثاني قد أثقل كاهله ، وما هي لحظات إلا وأضاء مصباح آخر في ذهنه مفاده أستبدال سيارته التي تعِبت، و أتعبت صاحبها بسيارة يقودها أكثر ما يدفعها ، فضلاً عن ذلك أحتياجه الى أثاث للبيت لكونه قد فقد اثاثه مع بيته المهدم ، هنا وإستوقفه حال والدته التي كانت مريضة بمرض مزمن وتحتاج الى علاج مستمر بين الفينة والاخرى .

لم تقف معاناته عند هذه الحاجات الاساسية ، إذ ان أسرته كانت بحاجة الى أشياء قد تكون كمالية، هذا إذا ما قورنت بما قبلها من الضروريات والأولويات ولكنها حاجات في نهاية الأمر لابد من توفرها ،وبينما هو في خضم التفكير إذ دخلت زوجته وقالت : قد أنهكني غسيل الملابس على مدار السنوات العجاف الثلاث ، ألا تشتري لنا واحدة ؟ فنظر لها بنظرة ممزوجة بغضب وحيره وقال : هناك حاجات أهم. قالت : لا زلت تقول هذا كلما طلبت منك شيئاً منذ أن انقطع الراتب قبل سنوات ، قال : وماذا أفعل في تلك الظروف الحرجة وقد مرت على الجميع.

وبينما هم يتبادلون الحديث المتوتر إذ دخل أبنه وقال : بابا الا تشتري لي ملابس جديدة للمدرسة ؟ فأنا لا زلت منذ ثلاث سنوات بنفس ملابسي القديمة ، حتى حذائي قد تمزق لكوني أذهب للمدرسة مشياً أما أصحابي فيأتون بحافلات النقل وأنت تعلم أن المدرسة بعيدة ...

هنا يزيد الولد من هم ابيه كما زادت الام ، وبدا على الوالد ملامح اليأس واضحة ، يشعر من خلالها بضيق التنفس وأرتفاع ضغط الدم ، وكأنه يصّعد الى السماء ، فنظر في نفسه وحاله وقال في نفسه كم أصبحت الحقوق في هذه الدنيا مِنة ، لولا ايقاف رواتبنا لما حصل ما حصل .

يحاول عبد الصبور التقاط أنفاسه وترضية زوجته وإبنه بشيء ما ، لكن من دون جدوى وذلك لطول مدة المحنة ، مما أدى الى نشوب شجار بينهما وتعالت الاصوات وتكدرت فيها القلوب ، وتحولت الحادثة السعيدة " إستلام الرواتب المدخرة " الى نكبة حزينة وليلة ليلاء لم يكن عبد الصبور يتوقعها ، فباتت العائلة بشر ليلة وجفاهم النوم ، وبينما هو على هذا الحال إذ يسمع زوجته تنادي يا عبد الصبور يا عبد الصبور ... أستيقظ حان وقت السحور .